كيف نقيّم زيارة الملك عبدالله للبحرين؟

أ.د.محمد جابر الأنصاري

Website:
www.dr-mohamed-alansari.com

زيارة الملك عبدالله للبحرين زيارة تاريخ، وليست زيارة راهن لذلك فالكتابة عنها لا ترتبط بزمن. ويتضح أمام المراقبين شيئاً فشيئاً أن الملك عبدالله يتبع نهجاً طويل النفس لترميم ما يريد ترميمه أو إعادة بنائه من أوضاع. فدعوته إلى إحياء التضامن العربي في قمة الكويت الاقتصادية – مثلاً – ماتزال دعوة مطروحة، والدبلوماسية السعودية والعربية مازالت تعمل باتجاه تحقيق ما رمت إليه من أهداف ورؤى.

والزيارة التاريخية التي قام بها الملك عبدالله للبحرين لا تهدف إلى معالجة مسائل شائكة بين المملكة العربية السعودية ومملكة البحرين. فليس ثمة مسائل شائكة بينهما. وكما لاحظت صحيفة «اليمامة» السعودية في تعليقها على الزيارة فإن التفاوت الهائل في المساحة والحجم والدخل بينهما كان يمكن أن يخلق سوء فهم بين البلدين كما في حالات أخرى، غير أن العلاقات السعودية البحرينية لم تشبها شائبة، وظلت «سمناً على عسل» طوال التاريخ، منذ أن كان الملك المؤسس عبدالعزيز يزور البحرين رغم تأثير التواجد الأجنبي وعرقلاته في المنطقة، ويلتقي بحاكمها الجليل الشيخ عيسى بن علي آل خليفة، الذي كان بمثابة الأب لقادة الخليج والجزيرة العربية كلها، كما كان يلتقي بأبنائه وفي مقدمتهم الشيخ حمد بن عيسى الذي كان يلتقيه في قصر الصخير، حيث تم اللقاء مؤخراً بين الملك حمد بن عيسى آل خليفة ملك البحرين، والملك عبدالله بن عبدالعزيز، حيث تسلم منه «السيف الأجرب»، ومازالت الكلمة التي قالها الملك عبدالعزيز في الصخير «القلوب مجتمعة» تجد صداها في اللقاءات السعودية البحرينية المتتالية، وخاصة كلمة الملك عبدالله التي قال فيها في رده على كلمة الملك حمد بن عيسى، «بأننا نريد أن يفهم الآخر بأننا وطن واحد في السراء والضراء». وللسيف الأجرب قصة تاريخية شائقة ورد ملخصها في خطاب الملك حمد بن عيسى عندما قدم السيف التاريخي لخادم الحرمين الشريفين. ثم دخل الشعر المعمعة، وكانت أبرز قصيدة للشاعر السعودي العربي الكبير غازي بن عبدالرحمن القصيبي (أمير السيوف) التي نشرتها في حينه صحف سعودية والصحف البحرينية .

ونعتقد أنه إذا كانت تلك الإشارة السعودية الدالة متعلقة بالبحرين في التأكيد على «وحدة الوطن»، بحكم المناسبة، فإن هذه الإيماءة السياسية السعودية تشمل دول مجلس التعاون الخليجي كلها الذي تمثل السعودية عمقه الاستراتيجي وسوف تحتضن قمته التشاورية بعد أيام في الرياض.

وتأتي مبادرة الملك عبدالله بتأسيس المدينة الطبية في البحرين من خلال جامعة الخليج العربي لتعطي زيارته بعدها الخليجي الشامل انطلاقاً من البحرين.

ويصعب على المراقبين ملاحقة التطورات المتسارعة التي يقودها الملك عبدالله رغم نهجه التاريخي المتأني. إذْ يُقصد بهذه التطورات أن تصب في الاتجاه المراد تحقيقه، وأن تعززه تدريجاً إلى أن يصبح أمراً واقعاً لا رجعة عنه.

لهذا تتصاعد شعبية هذا القائد العربي، وعندما قام بزيارته للبحرين كانت شعبيته في تصاعد. إلا أنها بعد ذلك وخلال فترة وجيزة قفزت قفزات لا يمكن أن تحدث لقائد آخر. فقد شهدنا بعدها تدشيناً للترجمة العربية لكتاب «ملك نحبه» الذي قام بتدشينه الدكتور خالد العنقري وزير التعليم العالي السعودي أثناء زيارته العلمية للنمسا. ويخطئ من يتصور أن ذلك من أعمال الدعاية الرسمية. إنه تعبير حقيقي عن شعور الناس تجاه هذا القائد المصلح. ويأتي مشروع حدائق الملك عبدالله العالمية في مدينة الرياض انعكاساً لتوجه الحكم السعودي الراهن إلى تحسين نمط الحياة في قلب نجد وإفساح المجال للعائلات السعودية، رجالاً ونساءً وأطفالاً، لكي تحيا كغيرها في العواصم الإنسانية الأخرى. ومشروع الحدائق العالمية، من ناحية أخرى، يمكن النظر – رمزياً – إليه كتعبير عن الانفتاح الفكري والنفسي والحضاري الذي يقوده الملك من أجل شعبه الذي صار يمتلك من معطيات التقدم والتطور ما يؤهله لمثل هذه المشروعات الجديدة.

ويدرك الملك عبدالله بحكم نهجه الواقعي أن الصورة ليست كلها وردية، وأن للتقدم ثمنه، وأنه لابد من غرس البذرة وانتظارها، والسهر عليها من أجل أن تثمر وتزدهر. ويذكر كاتب هذه السطور، أن عبدالله بن عبدالعزيز، قبل ربع قرن، قد وجه بحوارات الجنادرية التي كان يسهر على تنظيمها بكل دأب رجل عربي مخلص فقدته أمته وعوضها الله بأبنائه وهو المرحوم الشيخ عبدالعزيز بن عبدالمحسن التويجري.

وأن تلك الحوارات غير المسبوقة في بيئتها السعودية قد مهدت الطريق لحوارات اليوم الوطنية الفكرية التي صارت منطلقاً للإصلاح والتطور وهكذا لبنة فوق لبنة عبر سنين طويلة إلى أن يقترب الهدف المراد تحقيقه.

وهذا هو جوهر «النهج السعودي» منذ أن بدأت الدولة السعودية لقد احتاج الملك المؤسس الوالد عبدالعزيز نصف قرن أو أكثر، بعد أن استرجع ملك آبائه عام 1902 حتى توفي 1953، إلى أن يؤسس الدولة ويوطد أركانها ويدخل إلى مؤسساتها ما كانت تحتاج إليه من إصلاح وتحديث وتطوير، وكان يتحمل في سبيل ذلك مخالفة، بل مواجهة، الأعوان والإخوان والرفاق إذا خالفوه وتمسكوا بما هو «قبل الدولة» أو بما «دونها».

وقد تصور بعض المسنين السعوديين أن هذه الدولة قد تضعضعت بوفاة ملكها المؤسس فلجأوا إلى أسلحتهم لحماية أمنهم. لكنهم سرعان ما اكتشفوا استمرارها من بعده في أبنائه.

وفي تقديري، إن الملك عبدالله يتبع هذا النهج في البناء المتدرج مع الأخذ في الاعتبار ضغط الزمن والظروف وتوقعات شعبه في سبيل ما يطمح إليه.

وإذا كان الملك عبدالله قد جاء إلى البحرين ليطل من خلالها وعن طريقها، على منطقة الخليج العربي بأسرها، عاملاً في سبيل تلاحم مجلس التعاون الذي تمثل البحرين قلبه ونبضه فإنه قد أكمل ما دعا إليه في قمة الكويت الاقتصادية على الصعيد العربي الشامل، نقول قد أكمل دعوته إلى إحياء التضامن الخليجي والعربي وتعزيزه بما تتطلبه حركة العصر وضغوط الزمن والتحديات الماثلة، وهي ليست بالقليلة.

وفي اعتقادي إن البحرين ستبقى المحطة الطبيعية لتطوير حوار الأديان الذي بادر إليه الملك عبدالله، إلى أن أوصله إلى الأمم المتحدة، وعلى مستوى القادة، وذلك بحكم كونها على مرمى حجر من «الداخل» السعودي وانفتاحها التاريخي على مختلف الأديان والعقائد والأفكار، وذلك ما كرسه ملكها حمد بن عيسى آل خليفة من خلال مشروعه الإصلاحي الذي يتكامل مع إصلاحات الملك عبدالله بن عبدالعزيز في المنطقة الخليجية والعربية.

عصاري المكتبة العامة (5-5)

مسامرات
خالد البسام

E-mail:
albassamk@hotmail.com

عندما تأسست المكتبة العامة عام 1946م لم يكن في بال مؤسسيها بأن يكون لها هذه الشعبية الضخمة عند الناس. بل لم يكن في ذهن احد أنها ستكون منارة ثقافية وأنها ستكون احدى أولى المكتبات العامة ليس في البحرين وحدها بل في منطقة الخليج كلها. فقد كانت بداية المكتبة مجرد مكتبة خاصة لطلبة كلية الثانوية بالمنامة و لا تحتوي إلا على 2500 كتاب فقط، ثم تحولت بعد سنوات قليلة إلى مكتبة عامة، وفتح فيما بعد قسم للنساء، وحتى الستينيات كان ذلك مستغربا في البحرين حيث كان الاختلاط بين الرجال والنساء موجودا في السينما والمسرح والندوات وغيرها، لكن تلك تبدو من القضايا التي يتركها التاريخ غامضة لكثير من الوقت!

كان هذا هو الغموض الوحيد في المكتبة التي كانت تجعل بعض الطلبة ينتظرون الفتيات من قسم النساء ويغازلونهن بكلمات حب من أشعار نزار قباني وغيره، بل انني كثيرا ما رأيت قراء يتحدثون مع الفتيات الخارجات لتوهن من المكتبة حول رواية نجيب محفوظ الجديدة أو حول رومانسية إحسان عبدالقدوس، هكذا بكل براءة وجمال.

أتذكر أن صديقا لنا وكان جريئا جدا راح يغازل فتاة فور خروجها من المكتبة وأوصلها إلى بيتها، وكان يحكي لها هي وصديقاتها اللواتي كن يمشين معها طوال الطريق حكايات مضحكة وتسالي وغزلا بسيطا، وكان الصديق والبنات جميعهم يحملون كتبا مستعارة من المكتبة، وفي النهاية قال لها: هل لي أن اعرف ما هو الكتاب الذي استعرتيه؟ فردت وهي تبتسم: رواية لاحسان عبدالقدوس!

بعدها ضجت البنات من الضحك عندما رأينا صديقنا يقذف بكتابه على الأرض وينادي بصوت عال: يا ليتني إحسان وأبي عبدالقدوس أيضا!

وفي الواقع لم تكن مكتبة المنامة مكانا للثقافة والكتب ورائحتها، بل كنت كثيرا ما اعتبرها مكانا للحياة، بكل براءتها وأحلامها وحتى أوهامها!

كان برنامجي وبرنامج بعض أصدقاء تلك الفترة الجميلة مثل «حسين النهاش» و«محمد الدلال» وغيرهما بسيطا للغاية. فالذهاب إلى المكتبة يبدأ أحيانا من الثالثة والنصف ظهرا في عز الحر وكثرة العرق. ومن ثم اختيار طاولة لقراءة الجرائد والمجلات الجديدة، وبعد أن نشبع من الجرائد نبدأ رحلة البحث عن الكتب التي نريدها من روايات ودواوين.

بعد أن نحصل على ما نريد نقلب في الكتاب ونرى إذا كان سوف يعجبنا وهل عندنا استعداد لقراءته أم لا؟ فإذا وجدناه معقولا أخذناه معنا، وإذا لم يكن كذلك استعرنا غيره.

كنا نخرج من المكتبة عند ساعة المغرب وتكون الشمس وقتها قد غربت والحر خف وتحسن الجو عموما. ولذلك كثيرا ما اعتبرنا الخروج من المكتبة في تلك الساعة نزهة ما بعدها نزهة.

فعلى بعد أمتار قليلة كان هناك شارع الزبارة المشهور باسم «شارع الحمرا» على أساس انه كان شارعا يعج بكل شيء جميل ويشبه الشارع المعروف في بيروت. فأكثر دور السينما موجودة في الشارع وأجمل المطاعم كذلك، علاوة على بعض الأندية مثل «نادي العروبة» و«النادي الأهلي» وبعض الأندية الأجنبية. وكان كل ذلك بالنسبة لنا كأنه «عيد متنقل» كما يقول ارنست همنجواي.

وهكذا كنا بنقودنا القليلة نشتري سندوتش شاورما ونتمشى في الشارع، أما إذا كانت عندنا بعض النقود فندخل بها السينما ثم نتعشى في البيت!

لا ينتهي هذا «العيد المتنقل» إلا ونكون قد شبعنا ثقافة وضحكا وسعادة وبراءة. وفي الثامنة نصل إلى البيت، وعند التاسعة «يحين موعد نومك يا فريد» أو يا خالد كما كانوا يدرسوننا في كتب الابتدائية!

لم يكن هذا جدولا يوميا ولكنه شبه يومي. فإذا لم يكن هناك «عيد» فالقراءة هي عيدنا. فأتذكر أننا نقرأ في الصباح الباكر عند السابعة أحيانا وما بعدها، وفي الليل عندما ينام الجميع فلا شيء وقتها يحضن أحلامنا وسعادتنا إلا الكتاب.. كتاب المكتبة العامة الذي لم نرتوِ منه بعد!

كاريكاتور

بريشة علي البزاز

a-bazzaz@hotmail.com

تدخلٌ نحبه وتدخلٌ نرفضه

ميرزا أمان

e-mail:
mirzaman@batelco.com.bh

لا يستحق الرئيس الأمريكي باراك أوباما ما حصل له في أفغانستان وخاصة من قبل حليف أمريكا القوي الرئيس الأفغاني حامد كرزاي. الرجل لم يعمل شيئا يستوجب ذلك الهجوم العنيف من قبل الرئيس حامد كرازاي. لقد قالها الرئيس أوباما بصراحة وأمانة قبيل زيارته لكابول بأنه ذاهب الى هناك «لنسج علاقة عمل قوية مع الرئيس الأفغاني حامد كرزاي وحكومته». ذهب الرئيس أوباما الى أفغانستان وعلى جدول أعمال زيارته بند واحد من شقين وهو توثيق العلاقة بين حكومتي البلدين من خلال بناء علاقة أقوى مع الحكومة الأفغانية وإجراء مباحثات من اجل دعم الحكومة الافغانية برئاسة كرزاي والقوات الغربية المدافعة عن حكمها.

خلال زيارته، وربما قبل وصوله الى كابول، وصل الى سمعه بعض الاتهامات الموجهة الى حكومة كرزاي فأراد أوباما، حبا في كرزاي وحكومته التي لا يستطيع المراهنة على غيرها وخوفا على مصيرها، ان يبعد الشبهات والاتهامات ولو لمسافة قصيرة. طلب أوباما من كرزاي تعيين خبيرين عالميين في مفوضية الانتخابات للتحقيق في دعاوى الغش والتزوير. لم يكن في وسع كرزاي رفض ذلك الطلب. قبله ولكن كان قبول المكره. لذلك سرعان ما اعتبره تدخلا في الشؤون الافغانية الداخلية. وقدم أوباما نصيحة لكرزاي يقترح فيها ان يكون تعيين الوزراء حسب الكفاءة والأهلية وليس حسب القرابة او المعرفة او المحبة. فاعتبر كرزاي ذلك تدخلا سافرا من أوباما في الشؤون الداخلية. أما الذي رفع من سقف اتهامات كرزاي لأوباما بالتدخل في الشؤون الأفغانية الداخلية هي تلك النصيحة التي قدمها له أوباما حول ضرورة إيجاد هيئة مستقلة لها سلطاتها تتولى محاربة الفساد ونشر الشفافية.

ما اعتبره كرزاي تدخلا أمريكيا سافرا في شؤون أفغانستان الداخلية دفعه الى إلقاء خطابين متتاليين هاجم فيهما ما اسماه التدخل الغربي في الشؤون الافغانية محذرا بأن استمرار التدخل الأجنبي في شؤون حكومته سيجعل من طالبان مقاومة مشروعة. كما عقد اجتماعا مع أعضاء برلمان بلاده توعد فيه دول الغرب وأمريكا بالانفصال عنهم. بل ذهب الى ابعد من ذلك. فحسب ما نقلته الواشنطن بوست في الخامس من ابريل على لسان «أحد المشرعين الذي فضل عدم ذكر اسمه» بأن كرزاي قال بأن التدخل الأجنبي سيجعل من طالبان مقاومة مشروعة لا يستبعد أن ينظم إليها هو نفسه! أما مدير مركز دراسات النزاعات والسلام في كابول، حكمت كرزاي، ابن عم الرئيس حامد كرزاي فعبر عن غضب ابن عمه في تصريح للواشنطن بوست قائلا: حليفنا الأهم ينتقدنا باستمرا قائلا لنا: أنتم متهمون بالفساد ويتوجب عليكم عمل هذا وذلك».

سبحان الله، نصائح أوباما ومناشدته الإصلاح السياسي والاقتصادي، والتي هي في الأصل والهدف لصالح كرزاي وحكومته، تعتبر تدخلا أمريكيا وغربيا سافرا في الشؤون الأفغانية الداخلية ولا تعتبر خياطة الغرب للحكومة الافغانية وجعلها على مقاس كرزاي تدخلا في الشؤون الداخلية الأفغانية! المباحثات الأمريكية والغربية مع الحكومة الأفغانية وما تحمله تلك المباحثات من مقترحات لا تستسيغها الحكومة الافغانية يعتبر تدخلا سافرا في الشؤون الأفغانية الداخلية ولا يعتبر وجود الآلاف المؤلفة من الجنود الامريكيين والغربيين على الاراضي الأفغانية يعملون دون الرجوع الى الحكومة الافغانية تدخلا في الشؤون الداخلية الافغانية.

أما الأكثر غموضا والتباسا والذي يصعب فهمه واستيعابه، إن صح ما نقلته الواشنطن بوست، هو إمكانية التحاق كرزاي بطالبان، إن واصل الأمريكيون نصائحهم بإجراء إصلاحات! إذا كانت طالبان على هذا المستوى من الاستقامة والأحقية، أو على الأقل أهون الشرين، فلماذا يتأخر كرزاي في الانضمام إليها، او بالأحرى لماذا لا يقبل بها شريكا في الحكم، إذا كانت في نظره الملاذ الذي قد يدفعه إليه ما يصفه «بالتدخل الغربي». لماذا هذا الانتظار والقبول باستمرار عجلة القتل والتدمير؟